التعليم عن بعد

محتوى

تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر

لـ د. محمد احمد جودة

عمل : IbtiHAlinO

للحصول على الملزمة من الإنترنت : ibtihalino.blogspot.com

أهداف المقرر و محتواه :

• يهدف المقرر إلى التعريف بأهمية منطقة الخليج العربي كطريق مائي بين الشرق و الغرب إضافة إلى الموقع الاستراتيجي بالغ الأهمية في منطقة الشرق الأوسط و دور كل هذه المقومات في جذب التنافس الاستعماري لمنطقة الخليج العربي.
• ثم نبرز من جهة أخرى دور القوى المحلية مثل أل سعود و القواسم وغيرهم في مواجهة القوى الاستعمارية.
• إعطاء فكرة معبرة عن شخصية دول الخليج و إماراته و مشيخاته أمثال المملكة العربية السعودية و الكويت و البحرين و قطر و الإمارات و سلطنة عمان.

ثم نستعرض الحياة الاقتصادية منذ عصر استخراج اللؤلؤ ثم عصر اكتشاف البترول و أثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية.
و نستعرض بعد ذلك بعض المشكلات التي تعرضت لها منطقة الخليج مثل الأطماع العرقية و الادعاءات الإيرانية في بعض مناطق الخليج العربي .
ثم نستعرض بعد ذلك التطور السياسي لمنطقة الخليج و نشأة مجلس التعاون الخليجي و أثره الكبير و الهام على منطقة الخليج من ناحية تأمين المنطقة و دفعها في اتجاه التعاون الاقتصادي في كافة المجالات.

المراجع و المصادر التعليمية

- محمد حسن العيد روس ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، القاهرة ١٩٩٨ .
- عبد العزيز عوض ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، بيروت ١٩٩١.
- جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، ٢٠٠١
- صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤م) .
- مصطفى عقيل الخطيب : التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣م (بيروت المكتبة المصرية ، ١٩٨١م) .

أهمية منطقة الخليج العربي

تنسب منطقة الخليج العربي إلى الممر المائي الذي تطل عليه دول تلك المنطقة خاصة من جهة الساحل الشرقي له و الحقيقة أن نسب هذا الممر المائي إلى العرب أو تسميته بالخليج العربي لم يكن من قبل العرب أنفسهم و إنما عرفت هذه التسمية منذ أقدم العصور.

فأقدم اسم معروف لهذا الخليج هو اسم " بحر أرض الإله " حتى الألف الثالث قبل الميلاد ثم أصبح اسمه " بحر الشروق الكبير" حتى الألف الثاني قبل الميلاد و سمي " بحر بلاد الكلدان " في الألف الأول قبل الميلاد. ثم أصبح اسمه " بحر الجنوب " خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.

سماه الآشوريون و البابليون و الأكاديون : " البحر الجنوبي " أو " البحر السفلي" وقد سماه الفرس " بحر فارس " و قيل أن هذه التسمية عرفت في أول الأمر من قبل الملك الفارسي دارا الأول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) في كلامه " على البحر الذي يربط بين مصر و فارس .

أما أول من أطلق عليه الخليج العربي هو المؤرخ الروماني بلينيوس في القرن الأول الميلادي ، تلك الفترة التي كانت تلك المنطقة بالكامل بما فيها سواحل هذا الخليج الشرقية و الغربية ، عربية أو فارسية تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

ولا شك أن هذه التسمية التي أطلقها الرومان على الخليج في ذلك الوقت إنما ترجع إلى سيطرة العرب على المراكز التجارية و الملاحية على امتداد هذا الممر المائي لفترات كبيرة في التاريخ في ذلك الوقت وما يؤكد ذلك السواحل الشرقية لهذا الخليج و التي تمتد لمسافة حوالي مأتى كيلو متر تشغل معظمها سلسلة من الجبال صعبة المنافذ إلى الداخل مما عزل سكان فارس و السلطة المركزية عن حياة البحر و ممارسة الأنشطة البحرية بشكل كبير ، إضافة إلى ما اشتهر به الفرس منذ أقدم العصور بخوفهم من البحر و قلة أنشطتهم فيه سواء المدنية أو العسكرية.

و بسبب عدم خبرة الفرس بالأنشطة البحرية التي كانت دائما نقطة ضعفهم هي الأسطول الأمر الذي بسببه تلقوا هزائم عديدة في ميدان المعارك البحرية على يد عناصر أو أمم أقل منهم بكثير في القوى ، مثلما حدث أمام بلاد اليونان في العصر الكلاسيكي أثناء ما يعرف بالحروب الميدية .

وقد دفع ذلك الكثير من المؤرخين حتى في الغرب إلى القول بأن الخليج ليس فيه شيء فارسي سوا أسمه فقط و أن اسم الخليج العربي يمثل حقيقة جغرافية ثابتة.

منطقة الخليج العربي :

تشكل منطقة الخليج العربي ، وما فيها من المدن القديمة و الحديثة أهمية كبرى حضاريا و اقتصاديا إلي جانب ما لهذه المنطقة من تأثير قوى علي الأوضاع السياسية و الاقتصادية في العصر الحديث ليس فقط في الشرق الأوسط و إنما في العالم .

فقد كان لهذه المنطقة تواجدها القديم الضارب في أعماق التاريخ و كانت علي مر العصور مصدرا للخيرات التي أغرت بعض القبائل للنزوح إليها و استيطانها ، كما وفدت إليها أسر قدمت من بلاد عربية كثيرة.

وقد سكنت هذه القبائل منطقة الخليج و وجدت في رحابها رخاء العيش و أمن الحياة و امتدت فروعها إلي الوقت الراهن و طوال تاريخها ظلت منارة للعلم و مصدرا للخير و ملاذا لمن جار عليهم الزمن.

وقد كان الخليج كمعبر مائي يشكل دائما فاصلا بين سكان الساحل الشرقي و الأخر الغربي في الثقافة و الدين و حتى في الظروف الطبيعية و الجغرافية ، رغم التشابه في الأنشطة التجارية و التقارب المكاني .

ولم يذكر التاريخ اسم شعب استوطن الخليج العربي و سيطر على موانئه و سواحله و فرض السيادة التامة على مياهه و استفاد منها مثلما فعل العرب ذلك. و كانت الصلات بين الجزيرة العربية و العراق و سواحل الخليج و أيضا السواحل الأفريقية و الصينية تمتد إلى قرون عديدة قبل بدأ التاريخ الميلادي بفضل نشاط العرب في تلك المنطقة و حسن استخدامها كمنطقة وسطى من خلال النشاط التجاري الذي ربط العالم القديم و أيضا الحديث من خلال ذلك المعبر المائي الهام.

و يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في اتجاه شمالي غربي إلى جنوبي شرقي ، بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق و رأس مسندم على مضيق هرمز الذي يتصل بخليج عمان ، فالبحر العربي و تبلغ مساحة الخليج سبعة و تسعين ألف و أربعمائة و خمسين ميلا مربعا و يحتل الخليج العربي موقعا فريدا حيث تشكل سواحله الغربية المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية ، كما يتصل من الناحية الشمالية بنهري دجلة و الفرات عبر شط العرب و تتركز الأهمية الإستراتيجية للخليج نفسه في كونه جسرا أو معبر بين الغرب و الشرق و طريق مواصلات فريد بين أوروبا و الشرقين الأدنى و الأقصى.

و تتميز السواحل الغربية للخليج العربي بكونها مناطق سهلية باستثناء منطقة قاعدة شبه جزيرة قطر و أقصى جنوب مضيق هرمز و يتكون معظم الشاطئ العربي من شواطئ رملية مع العديد من الجزر الساحلية الصغيرة التي يضم بعضها البحيرات داخلية.

بينما يختلف الساحل الشرقي بتركيبته الجبلية مع وجود كثيف للمنحدرات ؛ وفي حالة وجود الشواطئ فهي ضيقة جدا لا تشكل إلا شقا ساحليا رفيعا في حالة تواجدها و تكبر قليلا لدى مصادفتها مصبات الأنهار الصغيرة على حدود الخليج العربي.

و السهل الساحلي يتوسع شمالا في منطقة بوشهر ضمن إيران ، ليتحد بعد ذلك مع سهول دلتا أنهار دجلة و الفرات الواسعة.

و تعد مياه الخليج العربي غير عميقة نسبيا ، إذ يبلغ أقصى عمق فيها ٣٦٠ قدماً. فمياهه لا يرتفع بها الموج و بالرغم من ارتفاع درجة حرارته و ارتفاع نسبة الرطوبة في مناخه ، فنادراً ما يتعرض لعواصف أو دوامات هوائية ، و لذلك فهو يوفر بيئة بحرية ملائمة للملاحة البحرية . كما أن مياه الخليج العربي ضحلة و نادراً ما تتجاوز عمق ٩٠م ، وقد تصل في مناطق قليلة جدا إلى أعماق تزيد على ١١٠ أمتار و ذلك في مدخله وفي الأماكن المعزولة في الجزء الجنوبي الشرقي.

و توضح خريطة القمر الصناعي الاختلاف بين الساحلين الشرقي و الغربي للخليج العربي من حيث طبيعة التضاريس

و يحوي الخليج العربي على أكثر من ١٣٠ جزيرة أكبرها جزيرة قشم الإيرانية التي يستوطنها عرب إيران ثم جزيرة بوبيان الكويتية و تبلغ مساحتها ٨٦٣ كم٢ ، ثم تأتي بعدها جزيرة البحرين و تبلغ ٦٢٠ كم٢.

الاختلاف الواضح بين تضاريس الساحل الغربي و الشرقي للخليج العربي :

وقد تميز الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر ، بموقعه الجغرافي المتميز و مركزه التجاري الذي يربط شرق العالم بغربه ، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي و موانئ المحيط الهندي مستفيدة من الرياح الموسمية الصيفية ، حاملة البضائع الهندية و الصينية وغيرها من سلع جزر الهند الشرقية و جنوب شرق آسيا نحو موانئ الخليج العربي و البحر الأحمر و الساحل الشرقي الأفريقي و مستفيدة من الرياح الموسمية الشتوية ، حاملة البضائع الفارسية و الأفريقية و غيرها نحو الموانئ الهندية.

و كانت البضائع الشرقية المنقولة بالسفن العربية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي ترد إلى البصرة ثم تتجه برا قاصدة حلب مارة ببغداد و حمص و حماة حيث تنقلها السفن الايطالية إلى الموانئ الأوروبية . وقد وجدت هذه البضائع وهى في طريقها إلى موانئ البحر المتوسط سوقا رائجة في موانئ الخليج العربي.

و تفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر – ذي الشعاب المرجانية و السواحل المجدبة ، فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان على الرغم من قصر المسافة بين السويس و الإسكندرية بمقارنتها بين البصرة و حلب و على الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف و تعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية .

خريطة طبيعية لدول منطقة الخليج :

وقد عرفت الدول الأوروبية الخليج العربي للمرة الأولى من خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للتخلص من احتكار العرب في منطقة الخليج العربي و الشرق الأوسط للوساطة في التجارة بين أسيا و أوروبا.

وقد كانت التجارة بين الشرق و الغرب منذ أقدم العصور تسلك طريقين رئيسيين هما : طريق البحر الأحمر و مصر و طريق الخليج العربي و الشام و كلاهما كانا تحت سيطرة العرب. و كانت المشكلات و الخلافات السياسية أحيانا تغلق إحداهما أو كليهما و حين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن أوروبا إلا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلك طريق وعر و غير أمن عبر أسيا الوسطى.

و أهم و أكبر المراكز الأوروبية التي كان لها نصيب كبير من تجارة المشرق هي البندقية و جنوا ، وقد فقدت جنوا مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في ١٤٥٣ م ، ثم بعد فترة و جيزة أدى الخلاف بين المماليك في مصر و بين البندقية إلى فقدان البندقية ما كان قد تبقى لها من مزايا في المنطقة.

و كان واضحا أن اكتشاف طريق جديد غير معهود يصل إلى الهند سيعود بثروة كبيرة على الدول التي ستستطيع الاستفادة منه و كانت البلد الذي كرس نفسه للبحث عن مثل ذلك الطريق هي البرتغال.

ولا شك أن أهمية موقع الخليج العربي بلاضافة إلى ما أكسبه العرب من أهمية بحسن استغلالهم لموقعه طوال قرون عديدة قديما و حديثا ، كان سببا في جذب انتباه القوى الاستعمارية على مدار التاريخ قديما حديثا للاستفادة من هذا الموقع المتميز و السيطرة على هذا المعبر الهام من جهة ، ومن جهة أخرى إنهاء احتكار سيطرة العرب عليه.

و لذلك يتضح أن أهمية تلك المنطقة كانت موجودة بشكل كبير قبل اكتشاف البترول و أن اكتشافه أضفى عليها أهمية كبرى وزاد من اهتمام العالم كله بهذه المنطقة ، التي تضاعف تأثيرها في العالم بأثره بعد ظهور خام البترول و أصبحت تتصدر أولويات الدول الاستعمارية الكبرى.

التنافس الاستعماري في منطقة الخليج

(البرتغال)

تعرضت منطقة الخليج العربي منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى غزو استعماري قامت به بعض الدول الأوروبية ، حيث كان العرب ، خاصة في منطقة الخليج ، يتحكمون في طرق التجارة الرئيسية و خاصة التجارة البحرية من الهند إلى أوروبا. وقد قامت كل من البرتغال و أسبانيا بأول المحاولات في ذلك الاتجاه عندما قامت كل منهما ببدايات حركة الاستكشافات الجغرافية طمعا – كما ذكرنا من قبل – في التخلص السيطرة العربية على طرق التجارة البحرية التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكم المماليك .

والجدير بالذكر أن الفترة الأخيرة من القرون الوسطى قد شهدت تطورا هاما وهو أن جميع مراكز إنتاج التوابل و طرق تجارتها قد وقعت في أيدي المسلمين خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، حيث ارتبطت ارتباطا و ثيقا بمناطق الدول الإسلامية كالأفغانية و المغولية في الهند و الممالك الإسلامية في مالاقا والخليج العربي و دولة المماليك في مصر و الشام و الحجاز و الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا . وعلى ذلك فان أوروبا صارت بكاملها تتطلع لتحقيق وسيلة ما تخرج بها من طوق الهيمنة التجارية الإسلامية و خاصة بعد اكتساح العثمانيين للأناضول و احتلال القسطنطينية عاصمة أوروبا الشرقية عام ١٤٥٣م.

وقد نجحت المحاولات البرتغالية و الاسبانية في السيطرة على منافذ تجارة الشرق في الخليج العربي و البحر الأحمر و التحكم بمضيقي هرمز و باب المندب. وقد كان لتشتت القوى الإسلامية و العربية في الشرق ، إضافة إلى كثرة الصراعات و الحروب التي كانت عاملا مساعدا في تنفيذ خطة البرتغاليين و انتشارهم في المنطقة و بعد نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح و وصلهم إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، عملوا على التحكم بالطرق الملاحية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي و البحر الأحمر و أصبح الخليج و جنوب الجزيرة العربية مجالين للتنافس الاستعماري.

الاستعمار البرتغالي :

فكانت البرتغال أول الدول الاستعمارية الغازية للمنطقة العربية بصفة عامة و منطقة الخليج بصفة خاصة ، فقد كون البرتغاليين إمبراطورية استعمارية قوية أثناء حركة الكشوف الجغرافية فنشروا تجارة الرقيق و جلبوا العبيد من أفريقيا خاصة غربها و باعوهم في أسواق أوروبا ثم عبروا رأس العواصف المسمى حاليا برأس الرجاء الصالح ١٤٩٢م و وصلوا إلي شرق أفريقيا ثم تابعوا إلي الهند فاحتكروا التجارة و سيطروا على الطرق الملاحية و انشئوا العديد من الشركات التجارية في الشرق ، يضاف إلي ذلك حملات التبشير و التنصير بالقوة التي مارسوها بدافع من الحقد على الإسلام و المسلمين.

وقد بدأ البرتغاليون بمهاجمة ميناء – غوا – على الساحل الهندي و استولوا عليه و بذلك وضعوا لهم أول موطأ قدم في الشرق لأن هذه المدينة الهندية - غوا - كانت أول مستعمرة أوروبية في الشرق كله ، وذلك بعد زوال كل المستعمرات الصليبية من قبل ، كما كانت هذه المدينة أيضا نقطة و ثوب برتغالية إلى الخليج العربي ، و ظلت كذلك حتى بعد أن فازت الهند باستقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

ثم توالى استيلاء البرتغاليين على العديد من المدن الهامة في المنطقة ، فاستولوا على جزيرة - سقطرى – العربية ذات المركز الاستراتيجى الخطير بالنسبة إلى المحيط الهندي و كذلك منافذ البحر الأحمر و بحر العرب و كان البرتغالي - الفونس ألبوكرك - صاحب هذه الانتصارات.

و اتجه القائد البرتغالي – البوكرك - بعد ذلك نحو الخليج العربي قاصدا الاستيلاء على - رأس الحد – و لكن بسبب مقاومة الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز اضطر البرتغاليين لعقد الصلح الذي بمقتضاه اعترفوا بحكم الشيخ سيف الدين على الجزيرة.

و عند هذه النقطة تتضح سياسة إيران التي كانت دوما ضد العرب و بالتالي وقفت في هذا الصراع إلى جانب البرتغاليين و تحالفت معهم ضد العرب وضد الشيخ سيف الدين و أجبرته على قبول الحماية البرتغالية.

ويشير الاتفاق الذي تم بين القائد البرتغالي – ألبوكرك و الشاه الإيراني - إسماعيل الأول – إلى طبيعة المصالح المشتركة بين إيران و البرتغال حيث جاء في هذا الاتفاق ما يلي :

-أن تقدم البرتغال بعض السفن للشاه لتمكينه من غزو البحرين و القطيف.

-أن تقدم البرتغال مساعدتها للشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان.

-أن تتحالف البرتغال و فارس ضد الدولة العثمانية.

-يتنازل الشاه عن هرمز و يعترف بالحماية البرتغالية عليها.

-وعد البرتغاليون الشاه بفتح - جاوه - للتجارة الفارسية ، و رغم ذلك تشير المصادر إلى أن - ألبوكرك - أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥م بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء – جاوه - سيفقد بضائعه و يخضع لغرامات باهظة.

-ويشير هذا الاتفاق ليس فقط لتحالف إيران مع البرتغال ضد العرب و لكن أيضا لأطماع الإيرانيين الاستعمارية في منطقة الخليج العربي.

ثم استولى البرتغاليين بعد ذلك على مدينة صور ثم مسقط رغم المقاومة العنيفة التي وجدها البرتغاليون و التي بسببها دمروا و احرقوا كل ما واجههم في تلك المدن حتى المسجد الكبير في مسقط أحرقوه و أقاموا كنيسة مكانه و هناك الكثير من المصادر التي تتحدث عن الخراب و الدمار الذي أوجده البرتغاليون في تلك المنطقة.

وبعد الإرهاب و الترويع الذي مارسه البرتغاليون أصبحت المدن و الموانئ العربية في الخليج مثل – قلهات ، مسقط ، صحار ، صور ، بمثابة محطات برتغالية لحماية جزيرة هرمز و الدفاع عن تجارتها ، و بقى نظام الحكم المحلى في هرمز تحت الحماية البرتغالي ، و نتج عن ذلك أن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي مما أثر على ازدهار هرمز و عمرانها. وقد شعرت هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذا لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي و عزله عن التجارة الشرقية.

و بسبب احتلال البرتغاليين منطقة الخليج العربي انهار النشاط البحري لعرب الخليج وهو مصدر رزقهم الوحيد أثناء تلك الفترة و كانت القوى الإسلامية إبان تلك الفترة تتمثل في المماليك الذين حاولوا التصدي للخطر البرتغالي لكنهم انهزموا في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م و كانت قواهم قد ضعفت و انهارت أمام الدولة الفتية وهي الدولة العثمانية التي كانت مشغولة في صراعها مع الدولة الصفوية من جهة ومع دولة المماليك من جهة أخرى لذلك كانت السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي سيادة اسمية.

ونشير هنا إلى موقف المدن الهندية من هذا التغير الجذري في منطقة الخليج العربي و كسر الاحتكار العربي للتجارة ، فلم تتأثر المدن الهندية كثيرا بهذا التغيير لأن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم فبعد أن كانت مهنة النقل التجاري احتكارا خالصا للعرب في المحيط الهندي ، أصبحت الآن في يد البرتغاليين ولذا لم تجد المدن الهندية ضيرا في بيع بضائعهم للبرتغاليين بدلا من العرب. وكما يذكر البعض فقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس و البرتغاليين.

معركة ديو البحرية :

شعر المسلمون بان حركة البرتغاليين تضر بمصلحة الدولة الإسلامية لان البرتغال بدئوا بإنشاء سلسلة من المراكز التجارية على الساحل الهندي بين سنتي ١٥٠٠- ١٥٠٥ م (بداية القرن السادس عشر م) كما تجاوزوا الحد الأحمر باستيلائهم على جزيرة هرمز على مدخل الخليج العربي عام ١٥٠٧م وغيرها من النقاط الإسلامية الإستراتيجية. فأرسل السلطان قنصوه الغوري سلطان مصر حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين تحت قيادة حسين الكردي نائب السلطان في جدة، في عام (١٥٠٥م) حتى وصل إلى جزيرة (ديو) ثم (شول).

و التقى السلطان المملوكي مع الأسطول البرتغالي بقيادة (لورنزو دي الميدا) وذلك في عام (١٥٠٨م) فكان النصر حليفه فى البداية ، ولكن عزز البرتغاليون قوتهم و احتلوا المزيد من المواقع الإسلامية على الساحل الهندي في أول عام (١٥٠٩م) ومنها غوا و دايول كما احتل البرتغال مدينة ديو الهندية مما أثر سلبا على التجارة الإسلامية فعقدت المعاهدات بين الدولة العثمانية و مصر و سلاطين الإمارات الهندية الذين طلبوا مساعدة الدولة الإسلامية إضافة إلى مدينة البندقية و تم إرسال أسطول مشترك من هذه الدول بمساعدة تقنية بحرية من البندقية.

و انضمت القوى الجديدة إلى حسين الكردي ، ولكن باغت البرتغاليون الأسطول في الثالث من فبراير عام ١٥٠٩م و شنوا هجوما غير متوقع على الأسطول الإسلامي مما أدى إلى تدمير الأسطول فكانت معركة ديو البحرية معركة حاسمة و فاصلة حيث كانت إيذاناً بانتهاء سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع أسيا ولذا تعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ و بهزيمة المسلمين فيها شرع البرتغاليون في احتلال الموانئ الإسلامية الرئيسية و احتكروا البحر لمدة ١٠٠ عام.

وقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٥٠٧- ١٦٥٠ م صراعا بين القوى العربية في الخليج و بين البرتغاليين ، وقد استخدم البرتغاليون في تلك الفترة اعنف أساليب الإرهاب بكل وسائل القوة لإخضاع العرب لنفوذهم و خلال تلك الفترة حاول العثمانيين تضييق الخناق على البرتغاليين والوقوف أمام مشروعهم الاستعماري.

فقد أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق.

و الجهود التي بذلها العثمانيين في ذلك رغم قوتها واتساع نطاقها لم تؤدى إلى نتائج حاسمة ، ولكنها نجحت في منع الاستعمار البرتغالي من الامتداد إلى الداخل ، كما حطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية الإسلامية في البحر الأحمر و شمال أفريقيا.

فأرسلوا حملة يقودها سليمان باشا الخادم الذي استولى على مسقط وحاصر شبه جزيرة مسندم و مضيق هرمز وحرض أهل القطيف على الثورة ضد البرتغاليين ، وقد تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على مسقط و جزيرة قشم و لكنها عجزت عن السيطرة على مضيق هرمز.

كما شهدت الفترة ما بين ١٥٥٢ – ١٥٥٤م العديد من المواجهات بين الأسطولين العثماني و البرتغالي عبر الخليج العربي و البحر الأحمر و انتهت بهزيمة العثمانيين ، الذين استطاعوا بعد ذلك تحقيق بعض الانتصارات على البرتغاليين فيما بين ١٥٥٧ – ١٥٨١م خاصة في البحرين و مسقط .

وقد استطاع العثمانيين أيضا بعد ذلك السيطرة على منطقة الإحساء ، كما فقد البرتغاليين البحرين مرة أخرى فى عام ١٥٣٤م عندما أرسل حكام البحرين و الإحساء و البصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب بالسلطان العثماني سليمان القانوني.

وعندما بدأ الزحف العثماني يؤتى ثماره على حساب الوجود البرتغالي رأت بريطانيا أن ازدياد التوسع العثماني في مياه الخليج يشكل خطر يهدد مركزها و نفوذها في المنطقة ، لذلك سارعت إلى عقد اتفاقيات حماية مع حكام و شيوخ منطقة الخليج العربي لإضعاف النفوذ العثماني في المنطقة.

وقد عملت القوتان الأوربيتان الانجليزية و الهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي و التجاري البرتغالي من الخليج العربي.

على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الإجراءات للدفاع عن أنفسهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم عن طريق عدة إجراءات مثل إغراق الأسواق الفارسية بكميات كبيرة و متنوعة من البضائع للتأثير على التجارة الانجليزية ، و رغم ذلك حقق الانجليز أربحا ، ولم تأتى هذه الخطوة بأي نتيجة.

وفى الربع الأول من القرن السابع عشر تمكن الانكليز مع حلفائهم الإيرانيين من إخراج البرتغاليين من الخليج العربي نهائياً عام ١٦٢٢م ليفرضوا سيطرتهم عليه و لعدة قرون.

بدء التواجد والتفكير الهولندي في آسيا خصوصاً و الشرق عموماً في أواخر القرن السادس عشر ، فقبل أن تحصل هولندا على اعتراف اسبانيا باستقلالها ، أخذت تساهم في العمليات الكشفية حول العالم الجديد ، في نفس الوقت الذي أخذت تتمرد فيه على الأسعار الاحتكارية التي كان البرتغاليون يفرضونها على المستهلك الأوروبي ، خاصة بعد أن اتضح للهولنديين أن تحدى قوة البرتغال في البحار الشرقية أصبح أمرا ليس صعبا.

وقد عقد كبار التجار الهولنديين بأمستردام في سنة ١٥٩٢م اجتماعاً قرروا فيه إنشاء شركة للتجارة مع الهند. و منذ ذلك الحين أخذت هولندا تتطلع للوصول إلى الشرق . وفى سنة ١٥٩٥م خرج أول أسطول هولندي إلى أسيا ، و الذي بلغ جزر الهند الشرقية ثم عاد بعد غيبة دامت سنتان و نصف. و أن كان قد فقد عدداً من طاقمه إلا أن الفوائد المادية من وراء البضائع التي جلبت كانت خير تعويض لذلك.

ولم تكن هذه الرحلة بداية لرحلات عديدة فحسب ، بل أنها كانت محركاً لإنشاء شركة الهند الشرقية المتحدة و التي أسست بمرسوم صدر في ٢٠ مارس ١٦٠٢م من الحكومة الهولندية. والذي خولت بمقتضاه حق احتكار التجارة و اتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع أي معاملة سيئة يتعرض لها الهولنديون و كذلك حق عقد معاهدات مع حكام الشرق باسم الحكومة الهولندية و بناء القلاع و تعيين الحكام و القضاة في المواقع التابعة و تطبيق القانون و توفير النظام في مثل تلك المناطق.

منذ تأسيس الشركة ، وهي تتطلع إلى تركيز عملياتها في الشرق و كانت المشكلة في كيفية الوصول لذلك الهدف ، خصوصاً أن آسيا في ذلك الوقت بها كيانات سياسية بالصين و الهند و اليابان - لا يستهان بها و يصعب على الشركة تحديها في ذلك الحين ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان البرتغاليون هناك ، وقد أقاموا أسس دفاعية على يد البوكيرك ، ما زالت سليمة ولم يمسسها سوء. ولهذا حرص الهولنديون على تجنب الاصطدام بالكيانات السياسية في المنطقة وكذلك القوى الأوربية الكائنة بها.

و سرعان ما اكتشف الهولنديون أن هناك ثغرة لدخول المنطقة ، تتمثل في أرخبيل الملايو و التي عن طريقها تم اختراق خطوط الدفاع الآسيوية.

وقد وجد الهولنديون في هذه المنطقة المقومات الأساسية التي تلزمهم بالسيطرة عليها ، فهي منطقة واسعة ، تضم عدداً كبيراً من الجزر الخصبة للغاية و التي تمتد بخط منحى يمتد من سومطرة إلى الفلبين و تعد أكثر المناطق الآسيوية جاذبية و أهمية في الشرق كله و التي تتجلى في إنتاجها للتوابل النفيسة إلى جانب المعادن و الصمغ الأعشاب الطبية.

و كان للهولنديين في ذلك الوقت اليد العليا في أوروبا في مجالات التجارة و الملاحة و المال ، وفى الشرق كان البرتغاليون قد خارت قواهم و إذا بشركة الهند الشرقية البريطانية التي تأسست في ١٦٠١ م قد بدأت نشاطها في منطقة شرق آسيا وعلى الرغم من كونها كانت المنافس الوحيد للشركة الهولندية إلا أن إمكانياتها الملاحية و المالية كانت محدودة ولا تمكنها من التصدي للشركة الهولندية ، حيث أن الأخيرة تمتعت برأس مال ثابت يفوق بكثير رأس مال نظيرتها الإنجليزية هذا إلى جانب امتلاكها لعدد كبير من السفن التي تميزت بإمكانياتها التصنيعية و التسليحية و التي جعلتها أكثر قدرة على المناورة من غيرها من السفن الأوربية المعاصرة لها.

ومما سهل على الشركة من مهمتها في المياه الشرقية ، أنها قامت على دمج عدة شركات تجارية هولندية ، كانت قد وصلت من قبل إلى الشرق ونجحت في إقامة علاقات طيبة مع بعض الحكام في أرخبيل الملايو و أسس أغلبها مقرات تجارية و قلاع في ترنيت و بانتام و جزر باندا و رثتها الشركة في هذه المناطق ، بمجرد إتمام عملية الدمج لكل هذا قررت الشركة الهولندية الاتجاه إلى أرخبيل الملايو ، حيث يمكنها من القيام بعمليات واسعة لتجارة التوابل و حيث الظروف المتوفرة للسيطرة على هذه المناطق و التي ستساعدها على احتكار تجارتها.

و حتى تنفرد الشركة بتجارة منطقة أرخبيل الملايو ، عملت على مناهضة الوجود البرتغالي و كذلك الإنجليزي و لذلك أصدرت أوامرها إلى موظفيها في الشرق بضرب المعاقل البرتغالية أينما وجدت و بناء القلاع أينما اقتضت الضرورة ذلك و التخلص من منافسة شركة الهند الشرقية الإنجليزية بكل الوسائل . وقد تحققت كثير من أهداف الشركة الهولندية في خلال فترة لم تتجاوز الخمس عشرة سنة ، حيث دمروا البرتغاليين و طردوهم من جزر كثيرة ، كذلك أبعدوا الإنجليز عن المنطقة بالكامل بعد أن عجزت شركة الهند الشرقية الإنجليزية عن منافسة الشركة الهولندية.

وقد أدت سياسية المناهضة الهولندية للوجود الأوربي بالأرخبيل و خصوصاً للبرتغاليين إلى أحداث تقارب بين الحكام المحليين و القادمون الجدد ، بشكل مكن الهولنديين من تسديد ضربات ساحقة للبرتغاليين.

وفى سنة ١٦٤١م تم للهولنديين انتزاع ملقا حصن البرتغال الحصين في الشرق و التي بضياعها من يد البرتغاليين تمزق النظام الدفاعي الذي وضع أسسه البوكيرك ، خاصة بعد أن أقصى الهولنديون الوجود البرتغالي في سريلانكا سنة ١٦٥٤، و احتلالهم لكوتشين - مؤسسة البرتغال الأولى - في سنة ١٦٦٠م.

و بعد ذلك أخذ الهولنديون يقومون من كولمبو بحملات منظمة على كل أثر للبرتغاليين في المياه الهندية ، ولذلك أخذت تتساقط محطاتهم التجارية الواحدة بعد الأخرى في يد الهولنديين ولم يكتفِ الهولنديون بذلك بل استولوا على سيلان و جزر الصوند و وضعوا أيديهم على تجارة البن و الشاي إضافة إلى الفلفل و بعد ذلك نفذوا إلى الخليج العربي و نافسوا البرتغاليين فيه و لم يبقى للبرتغاليين بعد ذلك سوا بعض الممتلكات مثل غوا في الهند و مكاو في الصين مما ساعد على انهيار الإمبراطورية البرتغالية التجارية بشكل سريع تحت أقدام التحديات الهولندية في الشرق.

و منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأ البرتغاليون يخسرون الأسواق في منطقة الخليج بسبب المنافسة الانجليزية و الهولندية. كما تمكن الانجليز و الهولنديون و الفرس أيضا في إلحاق الهزيمة بهم في المحيط الهندي و الخليج العربي.

و بالفعل بدأ البرتغاليون في فقدان مضيق هرمز الذي استعاده الشاه الايرانى عباس بمساعدة الانجليز وهكذا خسر البرتغاليون أفضل ممتلكاتهم في الشرق فكان إيذانا بنهاية التفوق البرتغالي في الخليج . ولذلك كان طرد البرتغاليون من مضيق هرمز احد المعالم البارزة في تاريخ المنطقة.

-ولكن رغم هذا التفوق السريع للهولنديين في المنطقة إلا انه لم يستمر طويلا لعدة أسباب أهمها :

-التنافس الانجليزي الهولندي : فأطماع الانجليز في السيطرة على التجارة في الشرق و الخليج العربي كان لا بد أن تقودهم إلى نزاع مع الهولنديين الذين حلوا محل البرتغاليين في جنوبي شرقي آسيا و قد ازدادت حدة التنافس بين الانجليز و الهولنديين بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية التي احتكرت التجارة من رأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب أفريقيا إلى مضيق ماجلان في جنوب أمريكا الجنوبية.

وعلى الرغم من وضع الانجليز القوى في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر فإنهم لم ينفردوا في السيطرة على منطقة الخليج العربي بل تقاسموا النفوذ البحري و التجاري مع الهولنديين و بعض الكيانات العربية مثل عرب عمان و أيضا مع البرتغاليين أنفسهم في بعض الأوقات.

- هناك عامل أخر هام سارع بنهاية النفوذ و السيطرة الهولندية وهو سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية نفسها ، فبعد أن استقرت الأمور للشركة الهولندية في أرخبيل الملايو و أصبحت هولندا في بداية القرن السابع عشر أكبر قوة أوربية في البحار الشرقية ، راحت الشركة تعمل على احتكار تجارة التوابل و دفعها هذا الاحتكار إلى السيطرة على عمليات الإنتاج و تنظيمها بشكل جعلها تتحكم في السوق. فأخذت تتدخل في تحديد الكميات المنتجة من التوابل و تقوم بإتلاف ما زاد منها عن الحد المطلوب وقد امتدت عملية الإتلاف لتشمل أشجار التوابل نفسها.

هذه السياسة كان لها أكبر الأثر في وقف قوة الدفع الهولندية في البحار الشرقية في أواخر القرن السابع عشر و إذا كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد تمكنت من احتكار تجارة التوابل طيلة القرن السابع عشر ، إلا أنها لم تتمكن من الحفاظ على مستوى قوتها إلى ما بعد ذلك وذلك للتحديات العديدة التي أوصلت نشاطها التجاري إلى طريق شبه مسدود.

و نجمت أولى التحديات التي واجهت الشركة عن سياستها بالمنطقة حيث ترتب عليها ازدياد الضرائب – بالإضافة إلى الضرائب التي كانت تدفع من قبل للسلطات الحاكمة و تحولت إلى الهولنديين و إلزام الأهالي بتسليم المحصول إجبارياً للشركة و إتلاف ما يزيد منه عن حاجة الشركة و حرمان السكان المحليين من ممارسة التجارة و تحطيم سفنهم و تدميرها ، بلاضافة الى شيوع الفقر و البؤس وشلل الحياة الاقتصادية و التي أدت في النهاية إلى انتشار أعمال القرصنة بشكل خطير كان له تأثيره على تحركات الشركة و نشاطها بالمنطقة.

كما ازدادت نفقات الشركة عن ايرادتها ، وذلك نتيجة سوء نظام الحسابات و خيانة موظفي الشركة و افتقارهم إلى النزاهة ، بعد اتساع الإمبراطورية ، هذا إلى جانب ارتفاع الفوائد التي كانت تدفعها الشركة لحملة أسهمها و التي تراوحت بين ٢٠% و ٤٠% و التي كان لها دور في تعثر نشاط الشركة المالي ، خاصة بعد أن اتسعت الممتلكات و ازدادت النفقات العسكرية و السياسية.

- أيضا تركيز الشركة لكل نشاطاتها التجارية حول التوابل النفيسة و تمسكها بذلك. في الوقت الذي تغيرت فيه طبيعة الطلبات الأوربية على السلع الآسيوية ، و بذلك عجزت الشركة عن التكيف مع الوضع الجديد خاصة بعد أن ازداد الوجود الأوربي بالمياه الآسيوية و خاصة الوجود البريطاني الذي احتكر تجارة المنسوجات الآسيوية بالأسواق الأوربية.

وما تعرضت له هولندا من مصاعب سياسية و عسكرية كبرى كان له تأثير واضح على نشاط الشركة في البحار الشرقية ، فبسبب اشتراك هولندا في حرب الاستقلال الأمريكية عام ١٧٨٠م ضد بريطانيا و مساهمة شركة الهند الشرقية الهولندية بالشرق في الصراع ضد بريطانيا ، الأمر الذي أصبح علامة فارقة في تاريخ الشركة ، تكبدت الشركة بسبب ذلك خسائر فادحة أفقدتها سيلان و مواقع كثيرة بالشرق.

و بهذا قابلت الشركة مزيد من التحديات التي أثرت في كل الحالات على ميزانية الشركة التي سارت في طريق الإفلاس بسبب قلة الإيرادات في وقت كانت المصروفات تتضاعف ، وهذا أضطر الشركة إلى الاقتراض إلى حد أعجزها عن الاستمرار ، لذلك تقدمت الحكومة الهولندية باقتراح لإنقاذ الموقف ، بحيث تأخذ الحكومة الهولندية على عاتقها مسؤوليات الدفاع و السماح بالتجارة الخاصة و الحد من احتكار الشركة التجاري و أن تدفع الحكومة ديون الشركة التي بلغت حوالي ١٤٠ مليون جلدر.

وقد تمت هذه التسوية مقابل أن تتخلى الشركة عن جميع ممتلكاتها و توابعها في الأرخبيل للحكومة الهولندية و بقبول ذلك انتهى دور شركة الهند الشرقية الهولندية في ١٧٩٨م ، و ورثت الحكومة الهولندية ممتلكات الشركة.

وبعد وقوع هولندا تحت حكم فرنسا ازداد موقفها تأزما وضعفا ألأمر الذي مكّن انجلترا من القضاء على قوتها التجارية ومن ثم وضع الانجليز يدهم على ممتلكات هولندا في الهند و استولوا على سيلان ثم على المواقع التجارية الهولندية في الخليج العربي .